عرفوا الحقوق وكل عارفة فيها ولولاها لما عرفوا
ولذكرى آياتها كشفت عن حجبه كالصبح فاعترفوا
كم سددت بالحق اسهمها لكن قلب الباطل الهدف
الداعيات لكل سالفة غرآء ابقاها لنا السلف
اخلاق علامين ان وعدوا لم يخلفوا خاشاهم الخلف
قوم اذا ما الضيم اوثرهم نهضوا له بالعزم فانتصفوا
لا يتلف المعروف بينهم هبهات بل يحمى ولو تلفوا
لا يأسفون على فضائلهم فيه وحق عليهم الاسف
لهمم الى العلياء متجهه وبهم عن الفحشاء منصرف
لم يتبعوا بالخلف قولهم فاذا دعوا فالصدق ان حلفوا
ترفت ضمائرهم فما بطروا فيها ولا اغواهم الترف
كم مفخر أبدوه مخترعاً لله ما اخترعوا وما اكتشفوا

النجف محمد باقر الشبيبي

العشائر

القاطنة بين بغداد وسامرآء

Les Tribus Nomades qui se trouvent entre Bagdad et Sâmarrâ

١ خطورة البحث

البحث عن العشائر والقبائل الصغيرة المجهولة النسب، من اصعب الابحاث، وبالاخص العشائر القاطنة في اطراف العراق، من اللائى قد ضاع نسبها بأقسامها الى اقحاذ، وبطون، وعمائر، واختلط حابلها بنابلها، وفشت بينها الاخلاق الغريبة، والموائد المستجنة، باختلاطها بسكان المدن الذين هم خليط من اقوام مختلفة، وشعوب متفرقة. ولم يقف الباحثون، الذين يهمهم امر هذه البلاد وسكانها، الا وقوفاً طفيفاً على انساب تلك القبائل الحقيقية، وماضيها، وعاداتها، واخلاقها. ذلك لان اكثر هذه القبائل قد خيم الجهل في ربوعها، وضرب ستاراً كثيفاً على عقول افرادها، فحجب ابصارهم عن

ادراك حقيقة ماضيهم ، حتى جلهم لا يعرفون من هذه الحياة امراً سوى القتل ، والنهب ، والسلب . ولو سألت واحداً منهم عن تاريخ قبيلته ، ونسبها ، وتاريخ الاراضي القاطنة فيها ، وعن السبب في تسميتها ، باسمها الحالي ، لما امكنه ان يجيبك عن سؤالك بشيء ، وبقي واجماً لا يعرف ماذا يقول وماذا يعمل ؟

ومما يزيد البحث صعوبة وخطورة : عدم وجود كتاب او رسالة تبحث عن احوال هاتيك القبائل ، وعن اسباب هذا التشعب الذي يدافيها ، من تفرقهم الى بطون ، وافخاذ ، وعمائر ، وجماعات . وهنالك اسماء محرفة ، مشوهة ، تزيدك ارتباكاً وضلالاً . واذا وجد شيء من ذلك ، فهو لا يبطل النقاب عن تلك المعميات . ولا يهديك الى ضالتك المنشودة ، وغايتك المطلوبة . وزيادة على ذلك ، ان الحكومة السابقة ، صاحبة البلاد ، لم تكن تعرف من امر هذه القبائل شيئاً سوى ان منهم الزراع ، والغزاة ، وقطاع الطرق ، وان منهم من يطيعونها ، فتضرب عليهم الرسوم الفادحة والضرائب الثقيلة ، فتثقل كاهلهم بالديون ، وتجعلهم يئنون من وطأة الفقر عليهم . وان منهم من يعصون امرها ، فكانت تسوق عليهم الجنود فترجع اما بصفقة الخاسر المغبون ، واما بتشتيت تلك القبائل في اطراف البلاد ، فينتثر عقد جامعتها ، ويذهب بذلك نسبها ، ويمحى تاريخها ، بمحو عصبيتها وجامعتها ، وتندرس اطلالها ، وتعفى رسومها .

وعندي انه لولا عصبة من دهاقين الغرب المنقبين ، وفئة من اساطين الشرق الباحثين ، تتبع الحوادث ، وتقيد الشارد والوارد منها ، وتبحث من غير كلل ولا ملل عن احوال تلك القبائل ، وتاريخها ، ونسبها ، فتذلل لنا الصعاب وتزيل عنها العقبات ، بما كشفته من الاسرار الغامضة ، لذهب تاريخها ، كما ذهب من قبلها تاريخ عاد وثمود ، وسائر الامم البائدة . الا ان ابحاث اولئك المنقبين ، ويا للاسف ! محصورة في بعض العشائر التي تراجع الكويت ، وتتردد الى البلدان الساحلية ، ولم تتعرض لغيرها .

ومن القبائل التي لم يهتد اليها كبار الباحثين ، ولم يعرف تاريخها عظماء الاجتماعيين ، القبائل القاطنة في ضفتي دجلة ، بين بغداد وسامرآء او سر

من رأى) وهي موضوع بحثنا ، ولصعوبة ووعورة طريقه ، نستميح القراء عذراً عما يبدو لنا من الغلطات ، والهفوات . ولما كانت هذه القبائل كثيرة الاختلاط بعضها ببعض ، والخصال المستحكمة في قبيلة مستحكمة في اخرى ؛ والبحث عن اخلاق وعادات قبيلة ، كالبحث عن جميعها ، اردنا ان نورد هنا البحث عنها مجملاً ، وناتي بعد ذلك بما نعرفه من مصيفها ، ومشتاها ، واقامتها ، وترحالها ، وزروعها ، وحاصلاتها ، وعدد رجالها ؛ ورؤسائها مفصلاً وعلى ذلك نقول :

٢ - حالها الاجتماعيه

من طبيعة البلاد التي يقل فيها الرزق ، وتشتد الفاقة بسكانها ، ويعم الخراب اراضيها ، ان يشتغل القاطنون فيها بالتنقل والارتحال ، من مكان الى آخر ، طلباً للرزق وللحصول على المعيشة الضرورية ، ومن اجل ذلك كان اكثر الاعراب رحلاً ، وهم سكان البادية الجرداء الخالية من كل نهر وينبوع ، يتنقلون من قطر الى آخر ، للاتجاع ، والاقتلاء ، ومن طبيعة اشتداد الفاقة التنازع ، والتنافس ، وعلى هذا المبدا ابن احوال جميع الاعراب ، فانهم لما كانوا قليلي الاعتناء بالامور الزراعية التي تزيد رفاهيتهم ، اشتدت الفاقة بهم ، فتولد من ذلك الخصام ، والقتال على الاراضي والمياه والمواشي والانعام . حتى عد ذلك من خصالهم وصفاتهم ، ولهذا لم يعدوا القتل والغزو سبة او امراً كبيراً لاعتيادهم اياها . وكلما اتاح الجهل لهذه الحروب فرصة ، ثارت نيرانها ، واندلعت السنة لهيبها ، ولو حدث بعضها في بلد آمن قد ضرب العلم فيه اطنابه ، وخيمت المدنية في ربوعه ، لعد امراً ذا بال ، ينفر النفوس ، ويستوقف الانظار . — وعليه فان هذه الشجاعة وهذا الاقدام اللذين يبديهما الاعراب في حروبهم وغزواتهم هي نتيجة تمرنهم عليها ، اذ ان الانسان قابل لكل شئ .

وهذه العشائر التي نحن بصددها تقسم قسمين : قسم قد اقتطعوا ارضاً فيزرعونها ويحرثونها ، وهؤلاء هم الذين يتخذون دوراً من الابن ، لحماية حيواناتهم ودوابهم من حرارة القيظ . وبرد الشتاء ، وبيوتاً للسكنى يصطنعونها في ايام الصيف ، من عروق السوس والعاقول (نوع من الشوك

اخضر اللون) يرشون عليها الماء، فيجد الساكن فيها لذة عجيبة ، لان الهواء يأتيه من منافذ العاقول بارداً نقياً ، ولوكانت حرارة الشمس شديدة الوطأة. وفي الشتاء يرحلون من الاراضي الوطيئة الى الاراضي المرتفعة التي لاتصل اليها المياه ، عند فيضان دجلة ، فيكونون في مأمن من الغرق، ومع ذلك يكثر فيها النبات والعشب فتكون مرعى لحيواناتهم.— ويتخذون حينئذٍ لسكناهم بيوتاً من الشعر وزان (سبب) تقام على اعمدة من الخشب، لا يتجاوز طولها مترين، تقيهم برد الشتاء . وهؤلاء بطبيعتهم هادئون ، قليلو الغزو ، لاشتغالهم بالزرع والحرث ، وتربية المواشي ، مما يغنيهم عن طرق ابواب السلب والنهب. وسمى ابن خلدون مثل هؤلاء البدو « اهل مدر » . والقسم الاخر يعنون بتربية الاغنام ، والابل ، وسائر الانعام ، يتغذون بلبانها ، ويتجرون باصوافها ، ويندر بينهم ان يستقروا بارض واحدة ، بل دأبهم التنقل والارتحال ارتياداً للمنتجع . ولما كان الارتزاق من الانعام ضيقاً، ومن طبيعة ضيق الرزق التنازع فيه رأيت دأب هؤلاء البدو الغارات، ونهب المواشي بعضهم لبعض .

٣ - اسماء القبائل واخلاقها وعاداتها

العشائر القاطنة في ضفاف دجلة، بين بغداد وسامراء كثيرة ، وهي مختلفة في مصيفها ، ومشتاها ، واتجاهها ، واقتلاعها ، وزروعها ، واراضيها ، بقدر ماهي متفقة الكلمة ، ومربوطة بعضها ببعض بجامعة واحدة . وهي الجامعة العربية بالوجه الاخص ، والعثمانية بالوجه الاعم . واما اخلاقهم فهي كاخلاق سائر العرب اي الكرم ، والوفاء ، واداء الامانة ، واكرام الضيف ، والاباء، وحسن الجوار ، واعالة الفقير ، والمدافعة عن الدخيل . ومن طبيعتهم الشجاعة ، والاقدام ، والثبات ، والصبر على الملمات . ولهم عادات لاتزال مستحكمة فيهم منذ عصور الجاهلية ، واطلاع غريب على خفيات الامور، كالقيافة مثلاً فانهم يزعمون ان الولد اذا ولدته امه يجب ان يكون بين هيئته وهيئة ابيه تقارب في الهيكل ، والشكل ، والطول ، والقصر . والقيافة علم يؤخذ بالحدس والتخمين ، لابالاستدلال واليقين ، ولهذا يعتبر من شر العلوم،

لا يقوم على الظن من الامور الكبائر . والقيافة من العلوم التي كانت قبل الاسلام ؛ ومختصة ببني مدلج ومضر بن نزار ومنهم تعلمته القبائل العربية . وهي كثيراً ماهتكت الحرائر ، وفضحت العاهرات ظلماً وزوراً . وهؤلاء لايزالون عاكفين على هذا العلم المستهجن ، وكثيراً ماتهموا زوجاتهم بالمنكرات التي لاحقيقة لها البتة .

واما مايتعلق بسحناتهم ، فهم سمر الالوان المشربة بحمرة صبيحو الوجوه ، سود العيون كبارها ، حادو النظر ، لؤلؤيو الاسنان ، قويو الابدان ، رحبو الصدور ، ضخام الجثة مع طول ، ويقل بينهم القصار ، ولهم حذاقة ومهارة عجيبة باصابة المرمى ، كثيرو الصبر على الظما ، والجوع ، والعرى ، والحر ، والبرد . وهم يضفرون شعورهم ، ضفائر ، اى جدائل ، ويرسلونها على اقفيتهم ، أوعلى جانبي رؤوسهم اوعلى خدودهم ، ويسرحون لحاهم ، ويخففون من شواربهم ، ويقتاتون لحوم الابل ، والضان ، ويتغذون بالبانها . ومن اشهر تلك القبائل : بنو تميم ، والمجمع ، والعبدان ، والحباب ، والسعود ، والبوعتاب ، والبو دراج ، والبو عباس ، والبو عيسى ، والبو مليس ، والبو نيسان ، والبو اسود ، والبو باز ، والبو صليبي ، والغواليسة ، والجبور ، والخزرج ، والبو فراج ، والكعيشات ، والبو طلحة ، والعزة ، والمشاهدة . وسيأتي ذكرها مفصلاً .

٤ . المزروعات والحاصلات

تزرع هذه القبائل ارضاً كبيرة ممتدة على جانبي دجلة ، من قضاء الكاظمية الى سامراء من الجهة اليمنى ، ومن ناحية الاعظمية الى سامراء ايضاً من الجهة اليسرى ، وتقدر الاراضي المزروعة على الجانبين بما يزيد على ٢٠ الف فدان . والزرع هناك قسمان : صيفي وشتوي ، فالصيفي يزرع على ضفاف النهر وتسقيه المياه التي تجرها الساقية ، وهي الناقة ، والبقرة ، والبقرة التي يستقى عليها من البئر بواسطة دلو كبيرة ، فيسيحون الماء على المزروعات بالسواقي (بالانهر الصغيرة) وهو مايسمونه عندهم « بزرع الكرود » . وكان الاقدمون يسمونه « بزرع السيح اوزرع الساقية » . والشتوي هو الذي يزرع

في الاراضي المرتفعة البعيدة عن النهر ، الآمنة من الغرق ، فتسقيه السماء بما تجود عليه السحب من المياه وهو مايسمونه « زرع الديم » ، وكان يسميه الاقدمون « العذي » ، ولهم نخيل واشجار لايصلها سيح ولا مطر ، فيشرب بعروقه من غير سقي ولا سماء وهو (البعل) . ومن مزروعاتهم الصيفية الذرة ، والدخن ، والسمسم ، والقاوبياء ، والماش ، ويقدر محصولات هذه الانواع بما يربو على ٨ آلاف قفار . والخضراوات ، وعنايتهم بها قليلة لقلة انفاقها اوصرفها وبعد الولاية عنهم . والرقي « البطيخ الاحمر » والبطيخ « البطيخ الاصفر اوالقاون » وهذان النوعان مبذولان لكثرتهما هناك ، وسهولة انفاقهما ، وفي كل سنة يرسل منهما الى بغداد قدر جليل ، ويبلغ قيمة حاصلاتهما خمسة الاف ليرة . ومن مزروعاتهم الشتوية القمح ، والشعير والهرطمان ، والعدس ، وغيرها . ومزروعاتهم هذه كلها على الاصول القديمة .

٣ - رسوم الحكومة وضرائبها

كانت الحكومة تأخذ سابقاً من هذه العشائر رسوماً كثيرة ، وكانت كلها ثقيلة وهي التي حملت الكثيرين من رؤسائها على ان يندمجوا في العشائر الرحل هرباً من تلك الضرائب الفادحة ، وبقيت اكثر الاراضي خراباً ، ولو فتشت عن تلك الاراضي العامرة الاهلة بالسكان ، لوجدتها اليوم اغلبها غامرة قفرة . ولوفتشت في دفاتر الحكومة لما وجدت فيها زيادة في الواردات بل نقصاناً ، وان كان ثم زيادة فما هي الا من نماء موارد اخرى ، اومن زيادة مكوس وضرائب . ولو ان الحكومة السابقة خففت من ثقلها ولم تستعمل العنف والشدة في تحصيلها ، لعمرت اكثر الاراضي ، ولعادت على الخزينة بالربح الكثير ، والمال الغزير . ولو زادت على ذلك اتخاذ الوسائل الناجعة لوقايتهم من الغرق ، فعمرت السدود ، وشقت الجداول ، وكرت الانهار المندرسة ، لما جازلثالث ان ينتقدها اونطالبها بشيء . والامل بهمة رجالنا الدستوريين الحاليين ان يتلافوا هذه الاخطار بامرين : اما باصلاح الانهر وانشاء السدود وشق الجداول ، واما بتخفيف الضرائب . وعندي ان العمل بالاول ، يفيد

الخزينة اضعاف ما كانت تحصله الحكومة السابقة بالعنف ، والشدة، ولكفاها مؤونة سوق الجيوش، ومحاربة الرعايا، وازهاق النفوس، ومن ضرائب تلك الحكومة التي يؤديها الاعراب اليوم، انها تأخذ عن كل كرد من الكرود ٣٠ مجيدياً . والكرد عبارة عن ثلاثة افدنة . ومن حيث ان المزروع ٢٠،٠٠٠ فدان اي عبارة عن ٢،٠٠٠ كرد ؛ فاذا ضرب بثلاثين مجيدياً ، بلغت واردات الحكومة من الحاصلات الصيفية وحدها ٦٠،٠٠٠ مجيدي او ما يقرب من ١١ الف ليرة عثمانية . وتأخذ عن المزروعات الشتوية (الديم) الخمس ؛ الا اراضي (عظيم) وزان (زبير)، فانها تأخذ عن شتويها العشر . وتأخذ عن كل رأس من الغنم اربعة غروش صحيحة ؛ وعن كل رأس من الابل قرشاً واحداً . وتأخذ رسماً يسمى (البيتية) وهي ثلاثة عشر غرشاً صحيحاً عن كل رجل متأهل .

ابرهيم حلمي

الطيارة في ديار العرب والغرب

Le Cerf- volant, autrefois et aujourd'hui.

جاء في المثل العامي العراقي :

« طياره وطاره في السما أو بالسما ». (فطياره) خبر مبتدا محذوف تقديره: هذا او هذه، بحسب المشبه، والجملة المقرونة بالواو حالية اتى بها لبيان ان التشبيه يكون في هذه الحالة ، ولولا اياها لما صح التشبيه ؛ وذلك ظاهر اذا نظر الى مورد المثل .

والطيارة لعبة شائعة بين صبية العراق، وسائر الآفاق، تتخذ في الاغلب من القرطاس . وتكون على اشكال مختلفة ، ولكل منها اسم خاص في العراق ؛ فمنها ما يسمى بالطيارة العربية ، وما يسمى بالطيارة العجمية (اي الفارسية او الايرانية)، ومنها ما يسمى بالطيارة الافرنجية ، ومنها يعرف باسم المربعة ، والمستطيلة، والعقرقة، وغير ذلك .

وكيفية صنعها معروفة لاشتهارها . وهي تسمى بالفرنسية Cerf - volant وبالانكليزية Kite او Paper - kite وبالالمانية Papier - drache وبالايطالية Draco volans payraceus وبالاسبانية Cervo volante وبالبرتغالية cometa